العرب
الإثنين 2021/08/30
السنة 44 العدد 12164

فيلم «ارتفاع».. حكاية النيازك التي تحيل الأرض إلى خراب

الناجون من القصف الفضائي يتحوّلون إلى كائنات هجينة لا حية ولا ميتة

مصير مجهول في عالم ديستوبي

البدايات التقليدية في سينما الخيال العلمي تقدّم للمُشاهد لقطات لحياة طبيعية ما تلبث أن تنقلب رأسا على عقب لسبب ما، كالكوارث الطبيعية والحروب والصراعات أو الهجمات القادمة من الفضاء أو غير ذلك. ولا يختلف فيلم "ارتفاع" للمخرج إيدي آريا عن ذلك النوع من أفلام الخيال العلمي، إذ ينتقل بنا بعد تمهيد بسيط إلى عائلة تجتمع على العشاء عندما يقع اهتزاز ينتهي بموت الجميع اختناقا، إلاّ طفلة واحدة.

طاهر علوان
كاتب عراقي

ينطلق فيلم "ارتفاع" للمخرج إيدي آريا من فرضية أن الأرض يمكن أن تتعرّض لهجوم فضائي من أطباق طائرة كان الأميركيون يحقّقون في شأنها منذ عقود، ويظهر جنرالات في الجيش الأميركي وهم يتحدّثون عن تلك الظاهرة، لننتقل بعدها إلى الهجوم الوحشي الذي تكون قد تعرضت له مدينة أميركية وكل الظن أنه هجوم بنيازك أدّت إلى موت العشرات ونجاة بضعة أشخاص، في المقابل كان من الغريب أنهم نجوا بأعجوبة.

الناجون وقد أصبحوا كائنات أخرى، إذ أن استنشاق مخلفات النيازك كان قد أحدث تغييرا هائلا في تركيبتهم الجينية والوراثية أدّت إلى تحوّلهم إلى كائنات جامدة لا تنام ولا تأكل ولا تنبض، لكنها حية.

هذا الهلع الذي يضرب الجميع يستدعي بحثا علميا للظاهرة، وهو ما تتصدّى له الدكتورة لورين (الممثلة نيكول شالمو)، وهي المتخصّصة في علوم الفلك وكائنات الفضاء وحركة الأجرام السماوية، ومعلوم أن هذه الممثلة ظلت إلى وقت قريب تصارع مرض السرطان وهي في بدايات انطلاقها.

تقرأ لورين بحزن وتراقب كل ما يجري من حولها، وهي ممثلة بارعة من فئة جيل الممثلات اللائي يستطعن بجدارة إيصال الأفكار دون الكثير من الكلام، بل من خلال تعابير الوجه وحركات الجسد فقط.

لورين تمضي في التعمّق في أبعاد ظاهرة النيازك هذه لتتوصّل إلى أن الحادثة نفسها التي وقعت في الولايات المتحدة سبق وأن وقعت في مدينة روسية، وتشاهد امرأة تشهد بما عاشته، لكن لمجرد إفشائها سر ذلك الهجوم المجهول يتم قتلها فورا من أجل إسكاتها.

والحاصل أننا صرنا في هذه الدراما الفيلمية نقترب من ذلك النوع من الصراع والحرب الباردة مع الروس مع أنهم ليسوا مسؤولين عن الحادثة.

الحيرة الممزوجة بالدهشة والخوف هي تلك القوى الدرامية التي أراد من خلالها المخرج تحريك شخصياته، وهو ما نجح فيه من دون أدنى شك وظلت لورين تؤدّي دورا متقنا في تتبعها لهول الكارثة وصولا إلى ملاقاة إحدى الشخصيات الناجية، لنكتشف في ما بعد أن لورين نفسها هي إحدى الناجين وأنها منجذبة إلى عالم مجهول.

الفيلم يستند إلى قصة متخيلة عن سقوط نيازك فضائية على الأرض تحوّل الناجين إلى كائنات هجينة

تنتج الضربات على الأرض نبتة ذات تويجتين غريبتين سوف تكتشف لورين في ما بعد أنهما نفسهما نبتتا في الهجوم النيزكي في روسيا، وأن هذه النبتة الصغيرة ما تلبث أن تتحوّل إلى شجرة عملاقة، لكنها شجرة من نوع خاص تحتوي مواد خاصة قادرة على جذب الناجين باتجاهها، يذكر أحد الباحثين فكرة تلك الشجرة بأنها تشبه توجه المسلمين إلى قبلة واحدة.

تشتبك في هذا الفيلم مسارات سردية متعددة وينجح المخرج في بناء دراما نفسية واجتماعية عميقة، كما ينجح في بناء نسيج درامي متماسك يجمع بين العديد من الشخصيات المتنوعة، كما أنه في المقابل يقدّم شخصية لورين كنتاج موضوعي للأزمة الطاحنة لتي ضربت الجميع بلا رحمة.

من هنا يمكننا النظر إلى هذه الدراما الغزيرة والمتنوعة من زوايا مختلفة، فقد تم إنتاج الكائنات الهجينة من الخارجين من ضربة النيازك، وقد تحوّلوا إلى كائنات منقادة إلى المجهول في مقابل العجز عن فهم تلك الأسرار الكامنة وراء كل ما جرى.

في المقابل كان الهلع البشري قد تفاقم مع حقيقة أن الهواء صار مسموما في كل مكان، فيما تكون المجموعة الناجية قد تحوّلت هي الأخرى إلى لغز محيّر لا قرار له.

بالطبع يتم تحشيد قوات الجيش الأميركي والمارينز وصولا إلى الرئيس الأميركي نفسه الذي يجتمع مع العلماء والمستشارين، وعندما تسرد لورين القصة يتحدّث الرئيس بجهل تام بأن ما شاهدته لا يستند إلى أدلة ولا يدل على شيء بل هو وضع أقرب إلى الفبركة غير الحقيقية، أما لورين فتدرك أن الأزمة أكبر من حدود التصوّر في كارثيتها.

لا تحتاج لورين في أدائها المتقن إلى الكثير من الكلام، لاسيما وأننا نكتشف في ما بعد أنها تعيش أزمة ذاتية حقيقية، فهي الأخرى تتماهى مع تلك الشخصيات المأزومة فتتعاطف معها وتحاول إيجاد خلاص لها.

ولنمض في هذه الدراما المؤثرة والمصنوعة بشكل متقن، حيث يختلط الترقب بالإثارة مع الخيال الواسع الذي ينقلنا إلى مرحلة يقبل فيها الجميع ما يجري بكل بساطة.

استند الفيلم في بنائه على ثيمة ليست جديدة لجهة احتمالات الغزو الفضائي، لكنه وفي الوقت ذاته توسّع فيها باتجاه ذلك الجدل والحيرة المرتبطة بكائنات حية وليست حية من الذين ضربتهم الأشعة والمواد السامة التي تسبّب فيها سقوط ذلك النيزك المجهول الذي قلب حياة الناس رأسا على عقب، وجعلهم في حيرة بصدد فهم حقيقة ما جرى في مقابل شخصيات ناجية تتفاعل مع شجرة عملاقة وتتلقى أوامرها منها.

«كما تريدني».. مسرحية يتجاور فيها الفن والجنون في محاولة لإلغاء النسيان

في مسرح أوديون بباريس يتواصل عرض مسرحية "كما تريدني" للإيطالي لويجي بيراندللو، التي تصوّر ما تردّت إليه أوروبا ما بين الحربين من تدهور قيم شبيه بما تعيشه اليوم، حيث تغني وترقص بغير اكتراث وهي على شفير الهاوية.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

بعد "فجاة في الصيف الماضي" لتينيسي وليامز، و"نحن لبرهة ما" لأرن ليغر، يواصل المخرج الفرنسي ستيفان برونشفيغ بحثه المسرحي عن ألغاز الهوية، والمشاعر التي يستمر انفعالها بعد زوال الأسباب، والمظاهر الخدّاعة التي يتمسّك بها الإنسان لغايات نفسية واجتماعية في أغلب الأوقات.

ويقبل هذه المرة على إحدى مسرحيات الإيطالي لويجي بيراندللو (1867 – 1936) "كما تريدني" التي تدور أحداثها في أجواء أوروبية مضطربة أنهكت مجتمعاتها حربٌ مدمّرة، وما كادت تنفض عن كاهلها بعض مخلّفاتها الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، حتى وجدت نفسها في أتون تقلبات جديدة تنذر بويلات أفظع، بعد صعود الفاشية ثمّ النازية. مسرحية يتجاور فيها الفن والجنون في محاولة لإلغاء النسيان.

وبرونشفيغ مدير مسرح الأوديون الباريسي، الذي سهر على ترجمة المسرحية والسينوغرافيا والإخراج، سبق أن اشتغل على نصوص بيراندللو، فبعد إخراج "كسّاءُ مَن هم عراة" عام 2006، و"ست شخصيات تبحث عن مؤلِّف" عام 2012، و"عمالقة الجبل" عام 2015، أقبل هذه المرة على مسرحية "كما تريدني"، التي تمثّل تحوّلا في مسار رجل المسرح الإيطالي الشهير، حيث شملت رؤيته أوروبا كلّها، وسعى من خلالها للغوص في أشدّ الخصوصيات حميمية في ظرف تاريخي متقلّب.

وكان بيراندللو قد تأثر كثيرا بما أصاب إيطاليا خلال الحرب العالمية الأولى، حين غزت الجيوش النمساوية – المجرية والألمانية والبلغارية فينيسيا، وألحقت بها أضرارا فادحة، وقامت بخطف واغتصاب النساء اللاتي بقين بلا حماية بعد أن التحق الرجال بجبهات القتال.

هذه المسرحية لاقت قبولا حسنا عند عرضها أول مرة عام 1930 في مسرح هواة الدراما بميلانو، وتحوّلت إلى شريط سينمائي مرتين: الأولى عام 1932 من إخراج الأميركي جورج فيتزموريس، والثانية عام 2001 من إخراج الفرنسي جاك ريفيت.

وقد ألفها الكاتب الصقلّي في منفاه ببرلين حيث أقام طيلة خمس سنوات، بعد أن واجه مسرحه "أرتي دي روما" مشاكل مالية وفنية عديدة، وبدأ الشك يساوره في النهج السياسي الذي يسير عليه الدّوتشي موسوليني، وأيقن أنه لم يبق أمامه سوى حلين: الفن أو الجنون.

وتعتبر "كما تريدني" أكثر مسرحيات بيراندللو أوروبية لكونها تهتم بالصدمات النفسية التي خلفتها الحرب العالمية الأولى بوجه عام، في ظرف شهد انتصار الفاشية في إيطاليا وصعود النازية في ألمانيا، وأوجد مجتمعا يغضّ الطرف عن الأعمال الوحشية بدافع المصلحة، حتى وقوع الكارثة.

الشخصية المحورية في هذه المسرحية امرأة ألمانية اسمها إيلما، وهي راقصة كباريه في برلين وعشيقة كاتب اسمه سالتر، رآها مصوّر إيطالي مارة في الشارع بعد عشر سنوات من نهاية الحرب العالمية الأولى، فعرف فيها لوتشا، زوجة صديقه ضابط الجيش برونو بييري الذي أرسل إلى جبهات القتال، وهي امرأة إيطالية في مقتبل العمر كانت تعيش في شمال إيطاليا، في منطقة اكتسحتها القوات الغازية.

وكان زوجها قد وجد بيته خاليا إثر انتهاء المعارك وعودته من الجبهة، فراح يبحث عنها في كل مكان دون أن يقف لها على أثر. اختفت الزوجة تماما، فقُيّدت إداريًا في عداد الموتى. فهل أن هذه المرأة البرلينية هي فعلا لوتشا، وقد اختارت أن تنسى ماضيها بالعيش عيشة انحلال وتفسّخ، أم هي فعلا راقصة ألمانية تمارس حياة الليل والسهر في برلين الصاخبة؟

> المسرحية تجمع بين الدراما البوليسية والخرافة الوجودية، في ظرف كانت فيه أوروبا على شفا دمار جديد

هذا السؤال ظل معلّقا، ذلك أن ردّة فعلها أمام برونو اتسمت بالغموض والالتباس، دون أن ندري هل كان ذلك تضليلا مقصودا أم أنه ناتج عن فقدان الذاكرة بعد ما عاشته من صدمات نفسية خلال الحرب.

أنكرت المرأة الغريبة في البداية أنها لوتشا، ولكنها قبلت العودة مع برونو دون أن نعرف ما إذا كانت هي فعلا زوجته، أم أنها تؤدّي مجرّد دور. غير أنها اكتشفت أن هذا الزوج لم يسع في أثرها من باب المحبة والتمسّك بشريكة الحياة، بل كانت غايته تحقيق مصلحته الخاصة، فهو لا يستطيع أن يحصل على الميراث إلاّ إذا كانت زوجته على قيد الحياة، لأن كل ممتلكات زوجته سوف تسلب منه في حالة ترمّله، وتمنح إلى أصهاره، حسب القوانين الإيطالية الجاري بها العمل في تلك الفترة. وأدركت أنها فرّت من عالم مقرف إلى عالم أشد قرفا، ما دفعها إلى التمرّد على هذا الزوج الأنانيّ والمجتمع وقوانينه البالية.

نقد لاذع لتآكل القيم وشيوع الأنانية في أوروبا ما بين الحربين

فنسنت ومرآة روحه

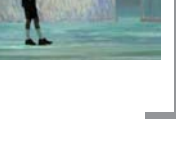

فاروق يوسف
كاتب عراقي

يعزف الكثير من الرسامين عن رسم صورهم الشخصية. البعض يرسم وجوه الآخرين بحماسة ومتعة، غير أنه يشعر بالقلق وبمزاج سيء ما إن يفكّر في رسم وجهه الذي يراه يوميا مرة أو مرتين في المرآة.

يتعرّف عليه في بطاقته الشخصية وفي جواز سفره، ولا يتساءل "هل يشبهني ذلك الشخص أم لا؟"، إنه سؤال مؤجل لما ينطوي عليه من حرج.

غالبا ما لا نشبه صورنا التي نشعر أنها لغرباء تسللوا إلينا لحظة التصوير. كيف يمكن أن يكون المرء شبيها لنفسه من خلال صورة وجهه؟ ذلك سؤال معقد ومربك وحائر.

ليس كل الرسامين يجيدون رسم الـ"بورتريه". رسامو الساحات في أوروبا يخدعون الأشخاص الذين يرسمونهم بالشبه الذي تحمله الرسوم. "هذا أنا يوم كنت هناك"، ولأن البشر يتشابهون من جهة قواعد الرسم، فلا بد أن يشبه المرء نفسه حتى وإن لم يكن ذلك حقيقيا.

في مقابل كل ذلك الاضطراب الذي لا يزال قائما حتى اللحظة كان نموذج فنسنت فان غوخ فريدا من نوعه في تاريخ الرسم. رسم الهولندي التائه في آرل الفرنسية خلال أربع سنوات 39 لوحة لوجهه، هي اليوم من روائع الفن التي تحتل مواقع محترمة في المتاحف العالمية. ولكن ما الذي فعله فنسنت سوى أنه رسم وجهه؟ كان لديه رسام ند في تاريخ الرسم هو الباروكي رامبرنت وهو الآخر هولندي. يمكنك أن تقف أمام رسم شخصي لرامبرنت ساعات ولا تشبع متعة. إنها متعة الرسم الخلاق ولكنها متعة تختلف عن تلك المتعة التي يشعر بها المرء وهو يرى فنسنت مرسوما فهي تتعلق بمزاج الألم.

كل لوحة من لوحات فنسنت تمثله بمعنى أن الوجه المرسوم يشبه وجهه، ولكن ليس في كل الأحوال. يمكن للرسام أن يدافع عن خطئه فيقول "كنت هكذا لحظة النظر إلى المرآة التي ساعدتني على نقل صورة وجهي إلى سطح اللوحة".

من بين اللوحات العظيمة التي تركها فنسنت كانت اللوحات التي تمثل وجهه تقف في المقدمة. هل هي مهمة لأنها حملت توقيعه أم لأنها تمثل هبة استثنائية في تاريخ الرسم؟

بغض النظر عن قيمتها التاريخية فإن درس فنسنت في رسومه الشخصية يعلمنا طريقة حساسة في التعرف على النفس. كانت رسومه مرايا روحية.

فنسنت فان غوخ رسم نفسه بمزاج الألم